مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 18 العدد 3 (السداسي الثاني 2026)
ص. 1133 – 1150

الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق
لعائشة عبد الرحمن دراسة وصفية

The Linguistic Miracle of the Qur'an and the Questions of Ibn al Azraq
A Descriptive Study by Aisha Abd al-Rahman

د. دلال عودة*
جامعة ابن خلدون – تيارت (الجزائر)
aouda.dellal@univ-tiaret.dz

تاريخ الارسال: 2026/01/25 تاريخ القبول: 2026/06/20 تاريخ النشر: 2026/09/28

ملخص:

لا يعتبر الحديث عن قضية الإعجاز البياني للقرآن الكريم من المواضيع المستحدثة فمنذ نزول القرآن إلى يومنا هذا هو الشغل الشاغل لدى العلماء والمهتمين والباحثين، ولمن تحداهم أن يأتوا بمثله، وهذا إن دلَّ على شيء إنَّما يدل على أنَّ موضوع الإعجاز شهد مسيرة حافلة بالتطورات غذّتها جهود العلماء والباحثين على مدار سنوات طِوال، فألفوا فيه مجلدات وكتب لا حصر لها، ومن أشهر من تناول هذه القضية من المعاصرين نجد الدكتورة (عائشة عبد الرحمن) في كتابها الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، وذلك حينما تناولت الميراث اللغوي البياني، سنقدم دراسة وصفية توصيفية للكتاب ولما انطوى عليه بشكل مختصر في ورقتنا البحثية هذه.

الكلمات المفتاحية: المعجزة؛ الإعجاز القرآني؛ البيان؛ عائشة عبد الرحمن.

* المؤلف المرسل

Abstract:

The discussion of the issue of the linguistic miracle of the Holy Qur'an is not a new topic. Since the revelation of the Qur'an until today, it has been the main concern of scholars, those interested, and researchers, and those who challenged them to produce something like it. This indicates that the subject of miracle has witnessed a journey full of developments, nourished by the efforts of scholars and researchers over many years, who have written countless volumes and books on it. Among the most famous contemporary scholars who have addressed this issue is Dr. Aisha Abdul Rahman in her book, The Linguistic Miracle of the Qur'an and the Questions of Ibn Al-Azraq, when she dealt with the linguistic and rhetorical heritage. We will present a descriptive study of the book and what it contains in a brief manner.

Keywords: miracle; Qur'anic miracle; rhetoric; Aisha Abd al-Rahman

1- مقدمة:

القرآن الكريم معجزة الزمان، الصالح لكل عصر، فقد اصطلح العلماء على أنّ المعجزة أمر خارق للعادة، فوق مستوى العقول والأفهام، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يجريها الله تعالى على يد أنبيائه مقرونة بالتحدي للمكذبين أو الشاكين، سالمة من المعارضة، فمتى أمكن أن يعارض هذا الأمر ويؤتي بمثله بطل أن يكون معجزة؛ وهي قسمان حسية كانشقاق القمر، وعقلية كالقرآن الكريم، والإخبار عن الغيبيات وقصص الأقوام الغابرة.[1]

وللإعجاز أوجه وجوانب مختلفة كالإعجاز اللغوي الذي ينقسم إلى الإعجاز البياني، والنظمي، والصَّوتي... والإعجاز الغيبي؛ الذي ينقسم إلى ثلاثة أقسام حسب عصر النبوة: غيب الماضي، وغيب المستقبل، وغيب الحاضر- عصر النبوة – أمَّا الإعجاز العلمي فيندرج تحته الإعجاز الكوني، والإعجاز الطبي، والإعجاز العددي...بالإضافة أنَّ القرآن الكريم محفوظ من الزيادة والنقصان، محروس من التبديل والتغيير على تطاول الأزمان لذلك فهو كشجرة وارفة الظلال، ملتفة الأغصان، ممتدة الأفنان في كل جهة فيها من الثمر الشهي ما يوجد في كل أنواع الشجر[2]، فقد صال وجال عديد من العلماء بحثا وتمحيصا وتدقيقا في ألفاظ ومعاني الذكر الحكيم من بينهم "عائشة عبد الرحمن" والملقبة ببنت الشاطئ، فمن تكون عائشة بنت الشاطئ؟ وما أهم القضايا التي انطوى عليها مؤلفها؟

للإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا المنهج الوصفي المتكئ على المنهج التاريخي المناسبان لموضوع بحثنا، حيث تمَّ تقسيم خطة البحث إلى: سيرة ومسيرة الكاتبة، ثمَّ توصيف عام لكتابها، واستنادا لقراءاتها ودراساتها لموضوع الإعجاز القرآني ذهبنا إلى لمحة تاريخية للمراحل التي مرى بها الإعجاز، بعدها رؤية عائشة عبد الرحمن للإعجاز البياني ثمَّ أهمّ القضايا التي تناولتها، وخاتمة جمعت النقاط المستفادة من البحث.

ولعلَّ الأمر الذي شدّنا إلى الاِهتمام بهذا الموضوع؛ حبنا للقرآن الكريم بالدرجة الأولى، ومحاولة التعريف بعالمة جليلة تخصصت في الدِّراسات القرآنية فوضعت بصمتها

[1]- ينظر: الإعجاز اللغوي في فواتح السور، سهام خضر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م، ص:24

[2]- ينظر: البيان في علوم القرآن، محمد الصالح الصديق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص:215

باقتدار في زمن كان يصعب أن نجدة للمرأة مكانة بين علماء أفذاذ كثر؛ فأردنا أن نكشف عنها الستار ونستفيد من أخبارها وعلمها، ويستفيد الآخرون من ثمارها من خلال التعريف بها، ولسنا ندعي قصب السبق في التعريف بها أو في الذهاب للدراسات التي قدمتها، فلا يخفى على الباحثين والمختصين في الدّراسات اللغوية والقرآنية بالأخص الأكاديمية منها الاقتباس والتضمين والاستشهاد من كتبها، وأعمالها القيمة في مقالاتهم ورسائلهم العلمية نذكر على سبيل المثال: مقال لكلفالي سميحة بعنوان: جهود عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في تحقيق الذات، والحفاظ على هوية المرأة المسلمة، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية.

وفي ورقتنا البحثية هذه اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر: الإعجاز البياني للقرآن والتفسير البياني لعائشة عبد الرحمن إعجاز القرآن للباقلاني، دلائل الإعجاز للجرجاني، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الربّاني صلاح عبد الفتاح الخالدي، والبيان في علوم القرآن لمحمد الصالح الصديق، ويتصدر هذه المراجع المصدر الرئيس للبحث وهو كتاب الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لبنت الشاطئ، فمن تكون عائشة عبد الرحمن ولماذا نسب لها بنت الشاطئ؟

2- سيرة ومسيرة عائشة عبد الرحمن:

2-1 مولدها ونشأتها:

ولدت "عائشة محمد علي عبد الرحمن" يوم 06 نوفمبر1913م، على بعد أمتار قليلة من شاطئ النيل بمدينة دمياط، شمال دلتا بمصر، ابنة لعالم أزهري، وحفيدة لأجداد من علماء الأزهر ورواده [3]، وقد تحدثت عن والدها فقالت: «إلى من أعزني الله به أبا تقيا زكيا ومعلما مرشدا، فضيلة والدي العارف بالله الشيخ محمد علي عبد الرحمن الحسيني»[4] تفتحت عينا الفتاة الصغيرة على نهر النيل الذي كان بيت جدها يقع على شاطئه، فارتبطت بالنهر لكنها سرعان ما تنقبض لأنّها تتذكر جدتها لأمها التي ماتت غريقة وابتلعها الشاطئ من عادة والدها أن يقضي إجازة الصيف في قرية "شبرا بخوم" بمحافظة المنوفية ويصطحب أسرته معه، وهناك حفظت عائشة القرآن.

كان والدها لا يقر خروج البنات للتعليم، فلم تتعلم ابنته عائشة مراعاة لموقف والدها في مدرسة ابتدائية أو غيرها، وهي صغيرة تعلمت في الكُتَّاب على أيدي والدها وأصدقائه من المشايخ، ومع ذلك أصّرت عائشة على الِالتحاق بالمدرسة، وامتنعت عن الطعام بقدر ما يتحمله جسدها، فتوسط لها جدها لدى والدها حتَّى انتزع موافقة الأب بخروج ابنته للمدرسة، واشترط الأب أن تتابع ابنته دراستها الدينية في البيت، وأن تنقطع نهائيا عن الخروج للمدارس إذا شارفت البلوغ، واستطاعت عائشة أن تتفوق في دراستها وأن تتخطى بإرادة حديدية كلَّ مراحل التعليم، وحصلت على أوَّل شهادة كفاءة المعلمات من المنزل وكانت أولى الناجحات في مصر عام 1929م.

وعندما ظهر اسمها في الصحف في مقدمة الناجحات، غضب والدها، ولكن الأم وأسرتها وقفت إلى جانب فَتَاتِهِم الواعدة، وكانت هذه الأسرة في شدّ وجذب مع والد الفتاة عندما تقدمت للالتحاق بمدرسة المعلمات بالمنصورة، سحب والدها أوراقها، وعندها قدم لها جدها لأمها أوراقها إلى مدرسة اللوزي بدمياط، رفض الوالد أيضا ونزلت عائشة عند رغبة الأب، وتابعت تحصيلها ودراستها بالمنزل، وحصلت على البكالوريا القسم الأدبي عام

[3]-ينظر: موسوعة نساء ورجال من مصر، لمعي المطيعي، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط1، 2003م، ص: 114.

[4]-على الجسر بين الحياة والموت، سيرة ذاتية، عائشة عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، 1986، ص: 18

1934م، والتحقت بقسم اللغة العربية كلية الآداب بجامعة فؤاد الأوَّل بالقاهرة، وحصلت على الماجيستر عام 1941م، والدكتوراه في الآدب عام 1950م[5].

2-2 حياتها العملية:

لم تكن بنت الشاطئ كاتبة ومفكرة وأستاذة فحسب، بل نموذجا نادرا وفريدا للمرأة المسلمة التي حررت نفسها بنفسها بالإسلام، فمن طفلة صغيرة تلهو على شاطئ النيل في دمياط، إلى أستاذ للتفسير والدِّراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب 1980م وأستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة عين شمس بمصر، وأستاذة زائر لجامعات أم درمان 1967م، والخرطوم والجزائر 1968م، وبيروت 1972م، وجامعة الإمارات 1981م وكلية التربية للبنات في الرياض 1983-1975م، وتدرجت في المناصب الأكاديمية إلى أن أصبحت أستاذ للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب، حيث قامت بالتدريس هناك ما يقارب العشرين عاما كما شغلت عائشة عضوية مجموعة من الهيئة المتخصصة ومجالس علمية كبيرة مثل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر والمجلس الأعلى للثقافة وهي أوَّل امرأة تحاضر بالأزهر الشريف[6].

3-2 مؤلفاتها:

تركت بنت الشاطئ وراءها زخما معرفيا في الدِّراسات الفقهية والإسلامية والأدبية والتاريخية ففي مكتبة الدِّراسات القرآنية والإسلامية نذكر ما يلي:

*التفسير البياني للقرآن: الجزآن: الأوَّل والثاني.
*الإعجاز البياني، ومسائل ابن الأزرق.
*مقال في الإنسان: دراسة قرآنية.
*القرآن والتفسير العصري.
*مع المصطفى في عصر المبعث.
*نساء النبي -ﷺ-

[5]- ينظر: موسوعة نساء ورجال من مصر، لمعي المطيعي، ص114،115 وينظر أيضا: على الجسر بين الحياة والموت، عائشة عبد الرحمن، ص:30-35.

[6]- ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، ط7، 1/9-11.

*أرض المعجزات-رحلة في جزيرة العرب-[7]

وفي مكتبة الدِّراسات اللغوية:

-رسالة الغفران: نص محقق.

-الغفران: دراسة نقدية.

-قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر.

-لغتنا والحياة.

-تراثنا بين ماض وحاضر.

-الصاهل والشاحج: نص محقق-لأبي العلاء.[8]

كما شاركت في العديد من المؤتمرات الدولية والمواسم الثقافية، ولم يتوقف إنتاجها عند هذا الحد بل كانت أيضا تكتب للصحف والمجلات؛ فبدأت الكتابة وهي في سن الثامنة عشر في مجلة النهضة النسائية، وقد كانت تكتب تحت اسم (بنت الشاطئ)، وهو اسم مستعار مستمد من ذكرياتها ولهوها على شاطئ النيل، وقد فضلت عائشة أن تستر وراءه لشدَّة محافظة عائلتها، وبعد ذلك بعامين فقط بدأت الكتابة في جريدة الأهرام المصرية، فكانت ثاني امرأة تكتب بها بعد الأديبة "مي زيادة"، وبقيت تكتب للأهرام حتَّى وفاتها[9].

4-2 وفاتها:

دخلت "عائشة عبد الرحمن" العناية المركزة يوم السبت 28نوفمبر1998م بمستشفى "هليو بوليس" بمصر الجديدة متأثرة بجلطة في الشريان، وقصور في الدَّورة الدَّموية للقلب، وتوفيت في الثانية من عصر يوم الثلاثاء أوَّل ديسمبر، وصلَّى عليها الإمام الأكبر الشيخ "محمد سيد طنطاوي" شيخ الجامع الأزهر، لقد ذهبت من وهبت حياتها بكلِّ سخاء للإسلام دينا وعقيدة وفكرا وتراثا، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.[10]

---

[7]- المصدر السابق، ص :222.

[8]- ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن، ص: 222.

[9]- ينظر: على الجسر بين الحياة والموت، سيرة ذاتية، عائشة عبد الرحمن، ص:37.

[10]- ينظر: موسوعة سناء ورجال من مصر، لمعي المطيعي، ص: 121.

3- توصيف عام للكتاب:

*يعتبر كتاب الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق من« أحدث الكتب التي وضعت في إعجاز القرآن، صدر سنة 1971م، وطبعته دار المعارف ضمن سلسلة مكتبة الدِّراسات القرآنية بمصر يحمل رقم(23)، وهو في جزء واحد، بلغت صفحاته 521 صفحة»[11].

*«واسم الكتاب مشعر برأي المؤلفة في فهم الإعجاز، وهو كامن في بيان القرآن بقدر ما تتسع له هذه الكلمة" البيان" من معان وأفانين يسمو بها حتى يصل إلى مرحلة الإعجاز»[12].

استهلت بنت الشاطئ كتابها بآية من الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.[13]

*ثم تقدمت بإهدائها إلى أستاذها "أمين الخولي" وإلى طلابها بجامعة القرويين، وللأجيال التي تهتم بهذه الدِّراسة بعدها.

*أمَّا دليل الكتاب والذي ينبئ القارئ بموضوعات الكتاب فينبني على: فاتحة الكتاب، مدخل وثلاثة مباحث وخاتمة.

*ذكرت أولاً في مقدمتها (فاتحة الكتاب) بأنّها لم تتصد لهذا العلم الدَّقيق إلاّ لوجود نسب لها عريق يربطها بشيوخ هذه الصناعة والذين أفنوا أعمارهم في خدمة القرآن، وتزويد المكتبة الإسلامية بثمار جهودهم، وبينت علاقتها الوطيدة بالكتاب المعجز الذي لازمها طوال حياتها بعدما تتلمذت في طفولتها على يد والدها في المدرسة القرآنية، وشاءت أن تتخصص في الدِّراسة العليا بما يتعلق بالقرآن الكريم، حيث تتبع خطاها على هذا الدرب أستاذها" أمين الخولي"، وأخذ بها لتطبيق ضوابط منهجه.

أمّا اهتمامها بالإعجاز البياني فانتبهت إليه أثناء اشتغالها بالتفسير البياني إذ تقول:« وقد شغلتني قضية الإعجاز البياني دون أن أتجه إليها قصدا، فأثناء اشتغالي بالتفسير البياني والدِّراسات القرآنية تجلَّى لي من أسراره الباهرة ما لفتني إلى موقف العرب الأصلاء من المعجزة، القرآنية في عصر المبعث ووجهني إلى محاولة منهجية في فهم عجزهم عن الإتيان بسورة من مثل هذا القرآن، وقد تحدَّاهم أن يفعلوا، والعربية لغته ولغتهم والبيان طوع

[11]- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، 1/ 171.

[12]-المرجع نفسه، ص: 172.

[13]-سورة طه [الآية: 114].

ألسنتهم»[14] فهي في كتابها هذا تعتمد على آراء من سبقوها إلى هذا الميدان كما أنّها لم تجحد جهودهم في خدمة كتاب الله كما أنّ هاته الجهود أنارت لها معالم السّير على هذا الطريق الذي ابتدأته من حيث انتهت خطواتهم في هذا الميدان الخصب.

ووقفت في *مدخل الكتاب (ص 15-29) على أهمّ المحطات التي مرّ بها الإعجاز وأهمّ ما قالوه فيه، وأشهر الكتب التي ألفوها حوله، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدل على قيمة هذا الموضوع، ذلك أنّ قرنا من قرون التاريخ الإسلامي لم يخل من التّأليف في هذه القضية وتورد في هذا الأمر:« من إعجاز القرآن أنّ يظلَّ مطروحا على الأجيال تتوارد عليه جيلا بعد جيل، ثمَّ يبقى أبدا رحب المدى، سخيّ المورد، كلّما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمح عاليا يفوت طاقة الدارسين»[15]. سَنُلمح لأهمّ ما جاء في المسيرة التاريخية للإعجاز وأهمّ ما أُلف فيه:

1-3 لمحة تاريخية لمراحل التي مرى بها الإعجاز:

في بادئ الأمر لم تكن هناك كتابات خاصة بموضوع الإعجاز لوحده، وإنّما كانت مندمجة مع قضايا أخرى إذ تقول بنت الشاطئ: «لم تنفرد قضية الإعجاز في أوَّل الأمر بالبحث والنظر وإنّما عولجت مع غيرها من القضايا»[16] ونظرا لتأثير هذا الموضوع في نفوس العلماء والباحثين ما لبث طويلا إلى أن استقل لوحده، وخُصصت له مؤلفات بحيث كانت لجهود من سبقهم لمحات مفيدة في إرساء قواعد الإعجاز وتشييد بنيانه.

تقول "بنت الشاطئ": « ففي القرن الثالث ظهرت كتب في الإعجاز تحمل في الغالب عنوان (نظم القرآن)... وفي أواخر القرن الثالث هجري ظهر أوَّل كتاب بعنوان (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه)"لأبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي المعتزلي"(ت:306ه)»[17]، وبهذه الثّمار زعم علماء الطبقة الأولى أنّهم استوفوا الكلام في الإعجاز.

[14]-الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمان، دار المعارف، مصر، ص:

[15]-إعجاز القرآن البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمن، ص: 13.

[16]-المصدر نفسه، ص: 15.

[17]-المصدر نفسه، ص:15-16.

إلى أن جاء «القرن الرابع؛ الذي أقر فيه أصحابه أن جهود من سبقهم في الإعجاز لم تستوف هذا الموضوع حقه، ولقد شهد هذا العصر طابع التقعيد والتنظيم لموضوع الإعجاز ومن أشهر من تناولوا هذه القضية "أبي الحسن علي بن عيسى الرماني" (ت: 384ه) في (النكت في إعجاز القرآن)، "لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي"(ت: 386ه) و(إعجاز القرآن) "لأبي بكر الباقلاني"(ت: ه304)»[18]وغيرها من المؤلفات، واهتم العلماء في هذه الفترة بالتفصيل في مسألة الإعجاز وفاء بما قصر عنه سلفهم إذ يورد "الباقلاني" (ت: ه403): « وقد يجوز أن يقع ضمن عمل الكتب النافعة في معاني القرآن، وتكلَّم في فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم أهل صناعة الكلام، أن يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته والدَّلالة على مكانه».[19]

وبهذا زعم "الباقلاني" أنّ هذه القضية حسمت؛ وقال هو فيها الكلمة الأخيرة، وما لبث إلى أن جاء "الجرجاني"، ومن عاصره في القرن الخامس حيث كانت لهم كلمة أخرى في الإعجاز كما لو أن هذه القضية لم تعرض من قبل، ونجد في هذا العصر "ابن حزم الظاهري" (ت: 456ه) الذي تصدى هو الآخر للسلف وكانت له كلمته في الإعجاز، وقدم "الجرجاني" مع (دلائل الإعجاز) (الرسالة الشافية في إعجاز القرآن) والتي نشرت ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز.

أمّا القرن السادس فقد برز فيه الفيلسوف "أبو الوليد بن رشد" (ت: 595ه)، واقتحم هذا الميدان أيضا "فخر الدين الرازي" (ت: 606ه)، بكتابه (الإيجاز في دراية الإعجاز) محاولا استدراك ما فات غيره، وفي القرن السابع قدم "ابن أبي الاصبع المصري" (ت: 654ه)، كتابه (بديع القرآن)، وفي القرن الثامن تقدم "يحي بن حمزة العلوي" (ت: 749ه)، فرأى أن السلف أجحفوا كثيرا في حق الإعجاز وأخلفوا بلاغة القرآن في مصنفاتهم فقدم هو الآخر مؤلفه الموسوم بـ: (الطراز المتضمن أسرار البلاغة وحقائق الإعجاز) وذكروا من رصيد هذا القرن أيضا كتابا "لابن سرافه" في إعجاز القرآن ولا نعرف عنه سوى اسمه.[20]

[18]-إعجاز القرآن البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمن، ص: 18.

[19]-إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار المعارف، مصر، (دط)، (دت)، ص: 05.

[20]-ينظر: إعجاز القرآن البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمن، ص: 20-23.

ومع مرور الزمن، لا تزال الدّراسات حول قضية الإعجاز مستمرة ففي «القرن التاسع ظهرت إلى الميدان مؤلفات أخرى لتحاول أن تستوفي ما قصر فيه السلف، فنجد مؤلف (نظم الدرر) لـ "برهان الدين بن عمر البقاعي" (ت:885ه)، وظنّ هو الآخر أنّه قد جمع في كتابه هذا أسرار القرآن، إلاَّ أنَّ الزمن لم يمهله فتصدى له جملة من علماء عصره ولقد اتجه المتأخرون إلى جمع ما قيل في الإعجاز كـ "جلال الدين السيوطي" في الجزء الثاني من كتابه (الإتقان)، وبرز "مصطفى صادق الرافعي" الذي لم يتحرج من القول بالظن في مصنفات السلف».[21]

وبهذه الوقفة والالتفاتة تكون "بنت الشاطئ" قد استعرضت المسيرة التاريخية لإعجاز القرآن، وهي في دراستها هذه أرادت أن تستهل من حيث انتهى عمل السلف معتمدة في ذلك على ما قالوه، وفي هذا تقول:« ونبدأ نحن من حيث انتهى السلف، وتراثهم بين أيدينا علامات على الطريق، لا ننقص من قيمته ولا نحط من أقدار أهله... والباب مفتوح أبدا ليس لأحد أن يدّعي أنّه أغلقه، والمجال رحب يتلقى كل حين جديدا لن يلبث أن يصير من القديم».[22]

2-3 رؤية عائشة عبد الرحمن للإعجاز البياني:

وتضيف قائلة: فيما يخص الإعجاز البياني: «ومع إدراكي أن الإعجاز البياني للقرآن يفوت كل محاولة لتجديده، أتقدم في خشوع إلى الميدان الجليل فأضع إلى جانب محاولات السلف الصالح ما هدى إليه عكوفي الطويل على تدبر كلمات الله»[23] فهي تدرك جيّدا أنّ محاولات دراسة الإعجاز البياني مهما تطورت وبلغت أوجها فلن تبلغ وجهه الصحيح المراد من الله، لأنّه يفوق كل الجهود والمحاولات.

*أمّا المبحث الأول فتناولت فيه: المعجزة، الجدل والتحدي، وجوه الإعجاز والبيان القرآني البلاغيون والإعجاز (ص 33-121).

*والمبحث الثاني شمل: فواتح السور وسّر الحروف، دلالات الألفاظ وسّر الكلمة، والأسلوب وسّر التعبير (ص 121-265).

---

[21]-ينظر، الإعجاز البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمان، ص: 23-24.

[22]-المصدر نفسه، ص: 28.

[23]-المصدر نفسه، ص: 29.

ولأنّ ما يهمنا في بحثنا هذا هو رأي "عائشة عبد الرحمن" في الإعجاز البياني والجديد الذي أضافته إلى السلف، فسنتطرق فيما بعد إلى هذين المبحثين لأنّ رأي المؤلفة بارز فيهما.

*أمَّا المبحث الثالث فقد وقفت فيه الكاتبة على مسائل ابن الأزرق، وهي مجموعة مسائل في التّفسير تبلغ نحو مائتي مسألة في القرآن، سأل فيها "نافع بن الأزرق" "عبد الله بن عباس" ففسّرها له فتطرقت هي لروايتها وأشهر من ذكرها من العلماء (السيوطي في إتقانه)، ثمَّ تركت النّصيب الأكبر للمسائل نفسها (ص 267-507).

وقد خرجت "بنت الشاطئ" من دراستها للمسائل بتأكيد واضح وهو بأنّ الكلمة القرآنية مهما روعيت الدقة في تفسيرها، فهي تبقى فوق ذلك منفردة بجلالها وجمالها وإعجازها، وأن ما يقوم به المفسر في محاولة الإتيان بمثل الكلمة القرآنية في مقامها فما يأتي به إنّما هو من قبيل الشرح والتقريب، ولا يعني ذلك بحال أنَّها والكملة القرآنية سواء.

وفي *خاتمة كتابها توصلت إلى أنّ الكلمة القرآنية فوق كل تفسير وتأويل، وأنّها منفردة بجلالها وإعجازها، كما أنّها لم تغض عن جهد المفسرين سواء أكانوا من الصحابة أو التابعين، أو من الأئمة المتأخرين وغيرها من النتائج.

3-3 أهمّ القضايا التي تناولتها:

تناولت "بنت الشاطئ" في المبحث الأوَّل من كتابها جملة من الموضوعات تمثلت في: (المعجزة، قضية التحدي وآيات المعاجزة، وجوه الإعجاز والبيان القرآني، البلاغيون والإعجاز)، ولأن من مزايا الكتاب المنزّل –القرآن الكريم-أنه يحتوي على عناصر كثيرة للدَّلالة على إعجازه الذي يطمئن إليه المؤمنون ويزيدهم إيمانا ويتأثر به المتشككون ويقنعهم بعظمته وقدسيته فكان الحديث عن معجزة النبي –ﷺ-الخالدة التي تحدى بها كفرة قريش ووثنيتهم، وكيف كان لأثر وقع آيات الذكر الحكيم على الأسماع.

وفي هذا تسرد "بنت الشاطئ" بعض قصص الصحابة واعتناقهم الإسلام؛ بعد أن كانوا محاربين لمَّا جاء به محمد-ﷺ-«ومن بين ما روت-قصة إسلام عمر بن الخطاب –ﷺ بعد سماعه أخته تتلو آيات من سورة طه التي استطاعت أن تبلغ قلبه وأعز الله الإسلام بعمر وقد كان من أشدّ قريش عداوة للإسلام وحربا للرسول -ﷺ- وغيره من مثل:

(أسد بن حضير وجبير بن مطعم بن عدي وكثيرا من أمثالهم...)» [24]، وتتساءل "بنت الشاطئ" هل فرض القرآن إعجازه على هؤلاء الذين استنارت بصائرهم فآمنوا بمعجزة المصطفى بمجرد سماعهم آيات منها، دون غيرهم، ممن لجوا في العناد والتكذيب.

«وذكرت أنّ "القاضي أبا بكر الباقلاني"، ذهب إلى هذا حين عدَّا تفاوت العرب عصر المبعث في الفصاحة من الوجوه الصارفة عن الإسلام، لمن ظلوا منهم على الشرك والتكذيب أمدا طال أو قصر، ويستشهد بآية التوبة ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُون﴾ [التوبة:6]، فرأى فيها الدّليل البيّن على أنّ فيهم من يكون سماعه إياه حجة عليه».[25]

إلاّ أنّ "بنت الشاطئ" وبعد أن عرضت رأي "الباقلاني" في هذا الجانب لم توافقه من حيث أنّه عدّ اختلاف قبول العرب للقرآن عند نزوله من فصاحتهم، وترى أنّه أخلط بين الفصاحة والقدرة البلاغية وفي هذا الصدد تقول:« وأرى الباقلاني قد خلط هنا بين الفصاحة وبين القدرة البلاغية».[26] وبعد أن تستقرئ أفكار "الباقلاني" ترى كذلك أنّه قد أخلط بين المعجزة وبين التحدي، « فمن حيث هو معجز الأمر فيه واضح لكل ذي سليقة عربية أصيلة...أمّا من حيث تحديهم أن يأتوا بسورة من مثله فتلك قضية أخرى معروضة على أبلغ بلغائهم ومن يظاهرونهم من جن فيما زعموا».[27]

تقول "بنت الشاطئ": «أزيد لأقرر أنّ القرآن لم يفرض إعجازه البياني من أوَّل البعث على هؤلاء الذين سبقوا إلى الإيمان به فحسب، بل فرضه على من ظلّوا على سفههم وشركهم».[28] وتسرد "بنت الشاطئ" من السيرة: أنّ الملأ من قريش بعثوا "بعتبة بن ربيعة" إلى رسول الله -ﷺ- ليعرض عليه أمورا أرسلوه بها، فقرأ المصطفى آيات من سورة "فصلت". عاد عتبة بعدها إلى قريش مأخوذا فما لمحوه حتى صاحوا: عاد أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

---

[24]-الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن، ص: 35.

[25]-المصدر نفسه، ص : 37.

[26]-المصدر نفسه، ص: 38.

[27]- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن ، ص: 39.

[28]-المصدر نفسه، ص: 40.

وقد تحيَّر المشركون من قريش فيما بينهم بما يصفون هذا القرآن فقالوا: شعر وقالوا كهانة، وقد عرفوا الشعر كلّه وعرفوا الكهانة وزمزمتها وما جهلوا أن القرآن ليس شيئا من ذلك كلّه، إلاأنّهم وبعد هذا انتهوا إلى رأي أبي جهل بن هشام: أنّ يقولوا إنّ محمدا جاء بكلام هو السحر يفرق بين المرء وأخيه وأبيه...[29] وتقول "بنت الشاطئ" في هذا: «هو إذن سحر البيان يعرفون سلطانه على الوجدان العربي، فهم في خشية من أن يدرك العرب كلّ العرب لا البلغاء والشعراء منهم فحسب إعجاز البيان القرآني، وهذا ما فهمته من وصفهم القرآن بالشعر والسحر».[30]

بعد هذا تتساءل "بنت الشاطئ" لماذا اختلفت معجزة المصطفى-عليه الصلاة والسلام-عن المرسلين قبله؟، ثمَّ تبيَّن ما أرادته من وراء هذا الاستفهام من خلال المفارقة التي عرضتها بين معجزات الرسل-عليهم السلام-قبل، ومعجزة محمد-صلى الله عليه وسلّم-البيانية.

أمّا ما جاء في قضية التحّدي فتحدثت "بنت الشاطئ" عن تحّدي أهل قريش ومجادلتهم الرسول في معجزة نبوته. وكيف كانت كلمات الله تصدع جبروتهم وتستشهد برأي القاضي عبد الجبار وتذكر:« أنّ القرآن يسجل مفترياتهم لا يكتمها ويجادلهم فيها بما يهدي كلَّ ذي عقل وبصيرة إلى وجه الزيف فيما زعموا»[31] ونذكر بعض الآيات التي ورد فيها الجدال مرتبة على المشهور من التنزيل وهي:

1-سورة القلم: الآية (10-15) والآية (45-47).
2-المدثر: الآية (11-26).
3-الفرقان: الآية(4-11).
4-الأنعام: الآية (8-9)والآية(25-26).
5-سبأ: الآية (43-47).
6-الأنبياء: الآية (1-10).

[29]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[30]-المصدر نفسه، ص: 41.
[31]- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن ، ص: 54.

7-الحاقة: الآية (38-52).

8-العنكبوت: الآية (48-53).

9-المطففين: الآية (10-14).

وردا على هذه المزاعم الجدلية من المشركين، بدأ القرآن من أواسط العهد المكّي يواجههم بالتحدي والمعاجزة حسما لكلّ جدل أو ريب، وكان تحدي الله للكافرين بأن يأتوا ولو بسورة بمثل ما جاء به القرآن وتذكر "بنت الشاطئ" البعض من آيات المعاجزة التي جاءت كرد على من جحدوا نبوة الرّسول لكونه بشرا مثلهم، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)﴾ [الإسراء: 88].

ومن سورة الإسراء وترتيبها في النزول الخمسون إلى سورة الطور وترتيبها السادسة والسبعون نزلت، هذه الآيات في المعاجزة (الإسراء-يونس-هود-الطور) قبل الهجرة وبعدها في منتهى العهد المدني نزلت سورة البقرة، والتحدي فيها كان سورة من مثله إنهاء هذا الجدل الذي طال، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)﴾ [البقرة: 23-24].[32]

ولأنّ القرآن المعجزة الخالدة فلقد تعدّدت أوجه الإعجاز فيه وكان محط اجتهاد السلف في الكشف عن هذه الوجوه، واختلفت أراءهم باختلاف اتجاهاتهم وفي هذا تقول "بنت الشاطئ": «وأياما قالوا فيها، فالذي لا ريب فيه هو أنّ إعجازه البلاغي لم يكن قط موضع جدل أو خلاف، وإنّما كان الجدل بين الفرق الإسلامية في اعتباره الوجه في الإعجاز والقول معه بوجوه أخرى، وقد تبدو شبهة خلاف فيه في ضجيج جدلهم الكلامي...»[33]

[32]-ينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص: 60.

[33]-المصدر نفسه، ص: 72.

فبعد أن تتطرق "بنت الشاطئ" إلى رأي الجاحظ وعبد الجبار، وعلي بن عيسى الرماني وهم من المعتزلة بالصّرفة ثمَّ من خالفهم من أهل السنة كالخطابي، وابن حازم الظاهري وابن كثير القائلين أنّ القرآن بنفسه معجزا، أمَّا الأشاعرة فكان وجه الإعجاز عندهم هو في الإخبار بالغيوب، فعائشة عبد الرحمن لا توافق ما نقله الجاحظ عن إمامه النظام ولا توافق القاضي عبد الجبار في الصّرفة والقائلين بها، وترى أنّ أعظم وجوه الإعجاز الإعجاز البلاغي.

وتضيف "بنت الشاطئ" في موضوع البلاغيين والإعجاز البياني؛ أنّه وبعد الإجماع على إعجاز البيان القرآني ظهرت محاولات مبكرة في الإعجاز البلاغي، وتذكر بعض من مؤلفات الذين سبقوا في هذا الجانب: "الجاحظ" (نظم القرآن)، "الخطابي" (في رسالة بيان إعجاز القرآن) و"الرماني" (النكت في اعجاز القرآن) و"القاضي المعتزلي عبد الجبار" (في كتابه المغنى)[34] مع ضرب الأمثلة والاستشهاد لها من كتبهم. وهذا أهمّ ما وقفت عليه الكاتبة في المبحث الأوَّل من كتابها، وتطرقت الدكتورة في المبحث الثاني من الكتاب إلى إبداء رأيها في قضية الإعجاز البياني من خلال معالجتها لبعض الظواهر القرآنية، كفواتح السور وسّر الحروف، دلالات الألفاظ وسّر الكلمة الأساليب وسّر التعبير.

[34]-ينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن ، ص: 88.

4- خاتمة:

تفصيل وتمحيص كلّ ما انطوى عليه هذا الكتاب القيم لا يسع المقال ولا المقام استيعابه، لكنه غيض من فيض، لنترك للقارئ الصول والجول في ثناياه وللباحثين إعادة القراءة والتحليل والتعقيب، وأمّا النتائج التي توصلنا إليها من خلال كتاب الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق فكانت:

- هذا الكتاب واحد من أهمّ ما كتب في الإعجاز البياني للقرآن أخذتنا فيه الكاتبة لرحلة إيمانية مليئة بتدبر كتاب الله عز وجل.
- استمدت (بنت الشاطئ) مادتها من أقوال وجهود السلف، فكان هذا الكتاب غزير المادة عميق الفهم كثير العطاء والثراء ربطت فيه بنت الشاطئ بين التفسير والاستقراء والتحليل.
- اعتمدت (بنت الشاطئ) المنهج الاستقرائي حيث تذكر كثيرا من نصوص القرآن أكثر من الشواهد على وجه الخصوص، الشاهد القرآني ثم تقارن وتدرس وتحلل وتنتهي إلى نتائج مسلمة.
- طرح القدامى لقضية الإعجاز كان مبنيا على رؤية كلامية أمَّا بنت الشاطئ فطرحها كان بيانيا حيث تطرق القدامى للقضايا البيانية من باب التمثيل في خضم احتجاجهم لقضية الإعجاز في القرآن بينما عائشة (بنت الشاطئ) خصصت دراستها للإعجاز البياني فقط.
- في دراسة (بنت الشاطئ) دعوة صريحة إلى فهم السياق القرآني كما ورد دون النظر إلى زيادة أو تقدير.
- خرجت (بنت الشاطئ) بتأكيد واضح أن الكلمة القرآنية مهما روعيت الدّقة في تفسيرها تبقى فوق ذلك منفردة بجلالها وجمالها وإعجازها.
- استنباط البيان وتذوقه والتمتع بقيمته الفنية وإيجاد الفهم السليم له يظهر في كلام الله تعالى وآياته المعجزة.
- الصبغة الإلاهية الربانية هي التي تشكل الطابع الإعجازي للقرآن الكريم.

قائمة المصادروالمراجع:

- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمان، دار المعارف، مصر.
- الإعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار المعارف، مصر، (دط)، (دت).
- الإعجاز اللغوي في فواتح السور، سهام خضر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.
- البيان في علوم القرآن، محمد الصالح الصديق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، ط7،ج1.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، ج1.
- على الجسر بين الحياة والموت، سيرة ذاتية، عائشة عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، 1986.
- موسوعة نساء ورجال من مصر، لمعي المطيعي، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط1، 2003م.